أحمد عبدالقادر الريفي وعلاقته بالحركة السنوسية في ليبيا

(1828م-1911م)

AHMED ABDEL QADER AL-RIFI AND HIS RELATIONSHIP TO THE SENUSSI MOVEMENT IN LIBYA

(1911-1828)

إعداد

الدكتور/ **أحميدة سالم حماد**

أستاذ مشارك في التاريخ الحديث والمعاصر - كلية الآداب- جامعة طبرق

hmeda223@gmail.com

الدكتورة / ناجية رزق محمود

أستاذ مساعد في التاريخ الحديث والمعاصر - كلية الآداب - جامعة طبرق

العدد الثالث عشر - يوليو - 2023 م

الملخص:

عندما بدأ السنوسي في دعوته للناس عن طريق تعليم الناس مبادئ الإسلام ، والتي ابتعدوا عنها كثيرا وبدأ الجهل يعم البلاد، ساعده في تلك المهمة مجموعة من الدعاة في نشر المبادئ الإسلامية بين الأهالي، كان من بينهم الشيخ أحمد عبدالقادر الريفي ولقد اتسم الشيخ بمكانة كبيرة بين تلك القبائل وذلك لتميزه بدرجة كبيرة من العلم والتدين ، حيث قام بمهام التعليم والدعوة والإصلاح التي وكل بها من قبل الشيخ السنوسي ، ولقد ساهم هؤلاء بشكل كبير في انتشار الحركة السنوسية ونجاحها وتطورها من حركة دينية إلى حركة منظمة ساهمت في بناء الدولة الليبية وكان لها دور في التطورات السياسية في المنطقة وشمال أفريقيا عامة.

الكلمات الافتتاحية : أحمد عبدالقادر الريفي – علاقة – الحركة السنوسية

Abstract

When Sanussi began Spread his invitation by teaching the people the principles of Islam, who turned away from them, as result, the ignorance catch the country, he was helped in that task by a group of preachers in spreading the Islamic principles among the people, among them were Sheik Ahmed Abdel qader Al-Rifi, These Sheikhs have a good reputation among the libyan tribes because of their great degree of knowledge and religiosity, where they carried out the tasks of education, advocacy and reform entrusted by Sheikh Sanussi, and these preachers contributed significantly to extend the invitation of Senussi movement, they also played an important role to development it from a religious movement to an organized movement that contributed to Libyan state-building and has played a role in political developments in Libya as well as in North Africa

Keywords: Ahmed Abdel qader Al-Rifi - relationship - senussi movement

المقدمة.

أتت دعوة الإسلام لتكون هداية للناس أجمعين، ودعوة الإسلام كلها خير وسعادة لمن يؤمن بها، ومن هذا المنطلق كان أسلوب محمد بن علي السنوسي في نشر دعوته بين القبائل يتم عن طريق إرسال الدعاة لها لإخراجها من حالة الجهل، والوثنية ثم بمساعدة هذه القبائل أسس ابن السنوسي زواياه .

ولقد استطاع السنوسي أن يختار من بين تلاميذه مجموعة من العلماء والفقهاء أصبحوا من أعمدة الحركة السنوسية ، سلكوا طريقه وبايعوه على الموت في سبيل الدعوة، كان من أشهر هؤلاء العلماء والقادة العلامة أحمد عبد القادر الريفي، والذي نحاول من خلال هذه السطور تتبع سيرته حيث نوضح علاقته بالإمام محمد بن علي السنوسي ، والتركيز على دوره في نمو الحركة السنوسية وتقدمها في عهد السيدين محمد المهدي وأحمد الشريف .

ومن هنا كان لزاماً علينا الاهتمام بهذه الشخصية والتعريف بها من جميع جوانبها ، حيث تكمن أهمية هذه الشخصية في التعريف بها ابتداءً من مولده وحياته وآثاره العلمية.

قسمنا البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة ذكرنا فيها النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا لهذه الشخصية، ولقد اعتمدنا على عدة مجموعة من الوثائق والمصادر والمراجع.

ونرجو إن نوفق في هذا البحث ، حيث كان همنا الوحيد هو التعريف بأحد الشخصيات التي كان لها دور هام في الحركة السنوسية في ليبيا

استطاع السنوسي أثناء تجواله ودعوته أَن يختار مجموعة خيرةً من العلماء والفقهاء والدعاة، اتصفوا بالإيمان والتفوق الروحي والرصيد العلمي ورجاحة العقل وقوة الحجة وسماحة النفس، أصبحوا من أعمدة الحركة السنوسية أثناء حياته وبعد وفاته ، فبعضهم أصبح مشرفًا ومعلمًا في الزوايا السنوسية ، وبعضهم الآخر أصبح من أعضاء هيئة التدريس في معهد الجغبوب؛ وكان هؤلاء الذين ساندوا الحركة السنوسية ينتمون إلى معظم الأقطار والبلاد العربية

اختار مؤسس الحركة محمد بن علي السنوسي هؤلاء العلماء بكل عناية للتفرغ للتدريس في معهد الجغبوب، حيث تدرس جميع أنواع العلوم ؛فلا ينحصر التعليم على حفظ القرآن الكريم وبعض العلوم الدينية والعربية كما هو الحال في كثير من المعاهد المعروفة آنذاك؛بل إن التعليم قطع بالجغبوب شوطًا بعيدًا وسار خطوات واسعة فتناول أهم العلوم العقلية والنقلية، وكان يجلس للتدريس فطاحل العلماء والأعلام تحت إشراف محمد بن على السنوسي نفسه، الذي يضع مناهج التعليم والخطة الدراسية ويقرها ، فتخرج من المعهد عدد كبير من العلماء وبقسط وافر من العلوم[1]، ومن

أشهر العلماء الذين جلسوا للتدريس في هذا الصرح و ساندوا ووقفوا مع بن السنوسي في نشر حركته العلامة أحمد عبد القادر الريفي.

1- نسبه:

هو أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر الشريف الإدريسي المازوني القلعي ،ولد في فصل الربيع سنة 1244هـ الموافق 1828م[2] وهو إدريسي من ذرية القاسم بن إدريس، ومقر أسلافه ببلدة مازونة، ويقال لهم أولاد علال، فهم من أولاد السيد مسعود بن عيسى عزوز بن عبدالعزيز بن علال بن جابر بن عامر بن سالم بن أحمد المُكنّى بعباد بن السيد القاسم بن السيد إدريس بن إدريس بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ين سيدنا علي بن أبي طالب وأبن الزهراء فاطمة البتول بنت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] وهو مازوني الأصل ريفي الشهرة، ومازونه أحدى مدن الجزائر ،وجده السيد محمد هو الذي خرج من مازونه إلى القلعة بالريف التي تتبع سلطة مراكش بالمغرب[4].

أنجب أحمد الريفي ثلاثة من الأبناء وهم محمد ومحمد وخديجة أبنه محمد الكبير أنجب أحمد وفاطمة أما محمد الصغير فقد أنجب أبن أسماه صالح، ويرتبط الشيخ أحمد الريفي بعلاقة مصاهرة مع العائلة السنوسية ،فقد تزوج السيد أحمد الشريف من أبنته خديجة الريفي وهي والدة الملكة فاطمة زوجة الملك إدريس السنوسي[5].

2- انتسابه لمؤسس الحركة السنوسية ومكانته العلمية :

كانت ولادة السيد أحمد الريفي ببلدة القلعية، وبها قرأ القرآن وما تيسر من العلوم ثم توجه إلى فأس وأخذ العلم عن جملة من العلماء من أجلهم العلامة سيدي محمد بن حمدون بن الحاج الفاسي المرداسي ، ثم ارتحل إلى مازونة وأخذ عن علمائها وأجل من أخذ عنه السيد أحمد بن السيد هنى بن السيد محمد أبي طالب ،ثم ارتحل إلى وهران ومنها ركب البحر وقصد مكة وبعد وصوله إلى مكة سنة 1265هـ الموافق 1949م [6] والتقى شيخنا العلامة أحمد الريفي بمؤسس الحركة السنوسية محمد بن علي السنوسي في الحجاز، حيث جاء أحمد الريفي إلى الحجاز برفقة الشيخ محمد التلمساني لطلب العلم ، وهناك تعارفا على عمر الفضيل الأوجلي[7] ولما أطلع على مهمتهما التي جاءا من أجلها أرشدهما إلى السيد محمد بن علي السنوسي[8] حيث أسس ابن السنوسي على

جبل أبي قبيس المشرف على البيت الحرام أولى زواياه التي عرفت بزاوية أبي قبيس ، وشرع في إلقاء الدروس وتعليم من يقصده من المريدين وطلاب العلم ،حيث كان يلتقي بوفود الحجيج وكانت تلك الجموع تربة خصبة تمكن من أن يبذر فيها دعوته وينتخب منها من يصلح لمعاونته[9].

كان أحمد الريفي على جانب عظيم من العلم، كان بحرًا في جميع العلوم ، أتقن العلوم بأسرها حتى الفلك والإسطرلاب والهندسة والرياضيات[10]، إلا إنه كان يطلب المزيد حيث طلب من بن السنوسي أَن يقبله في جملة اتباعه ومريدة لكي يتم تحصيله العلمي علي يديه[11]، فأَخذ عنه الطريقة ولازمه ملازمة صادقة، وحضر معه إلى ربوع برقة وكان عمره آنذاك اثنين وعشرين عامًا[12]،فأصبح إمامًا كاملًا في مختلف العلوم العقلية والنقلية حتى صار حجة زمانه[13]، وقد نشر محمد الطيب الأشهب كتاب البيعة الذي بايع فيه أحمد الريفي مع مجموعة من الإخوان للإمام بن السنوسي في المنشط والمكره وعلى السمع والطاعة [14].

لازم أحمد الريفي الإمام السنوسي وقام بالكثير من أعمال الحركة السنوسية، ولقد أشتهر بين الجميع بعلو القَدر والمكانة و وكرم الأخلاق وسعة الاطلاع ورحابة الصدر، وكان معروفًا بالحلم والورع ولين الطبع مع صلابة في الحق[15] حتى إن بن السنوسي كان يقول من أَراد أَن ينظر إلى الملائكة على وجه الأرض فلينظر إلى أخينا أحمد الريفي، وقال أيضاً إن أحمد الريفي صاف مثل الفضة ، وكان يعجبه صوته في القراءة ، وكان يأمره بتلاوة القرآن عند رأسه في مرضه الذي توفي فيه[16]، وكانت له مكانة خاصةً في نفس أبن السنوسي حيث عهد إليه بالاشتراك مع السيد عمران بن بركة الفيتوري بالوصاية على أبنائه محمد المهدي ومحمد الشريف بعد وفاته ، كما عهد إليه بمهمة تدريس الفقه الإسلامي والنحو والفلك والتصوف في معهد الجغبوب[17].

وأعتمد عليه السنوسي بأخذ رأيه وتشاور معه ، وكان مخلصًا له ولدعوته الاصلاحية ،ولم يكن له مقصد ولا مسعى إلا وجه الله تعالى ، فقد كان عمله خالصاً لوجه الله تعالى في نشر دينه الحنيف من خلال الإشراف والتدريس ، تصديقًا لقولة تعالى :" فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداَ "[18]

إلى جانب ما تميز به الشيخ من علوم فقد كان شيخنا شاعرًا، إلا إنه كان من المقلين في الشعر[19]، كما كان يحفظ الشعر ايضًا أَذ يقول الحشائشي يوجد في الجغبوب من يحفظ عن ظهر قلب عشرين ألف بيت من الشعر ومن أشهر هؤلاء الباحثين العالم الكبير والبحر الزاخر أحمد الريفي[20]، وبغض النظر عن ما في هذا الرأي من تصور ولكن ذلك يدل على حب شيخنا أحمد الريفي للشعر ومدى اتقانه له.

كان رحمه الله محل ثقة وتقدير كافة الذين سبقوه في الانتساب إلى الحضرة السنوسية ، ومن خيرة رجال الحركة وأجلهم لم يفارق بن السنوسي منذ اتصاله به إلا أثناء قيامه مع الإخوان ببناء زاوية المدينة وكان حين ذاك بن السنوسي في مكة[21].

3- إشرافه على تعليم أبناء السنوسي:

تولى التدريس لأبناء السيد محمد بن علي السنوسي وهم محمد المهدي ومحمد الشريف، كما أشرف على تدريس أحمد الشريف السنوسي ومحمد إدريس السنوسي ، وكان له دور كبير في تنشئة محمد المهدي وفي رسم وتكوين شخصية ، حيث سار في تعليمه على النهج الذي أخذه عن الإمام بن السنوسي[22]، يقول أحمد الشريف " **إن السيد محمد المهدي والسيد محمد الشريف قرأوا العلم على السيدين العالمين المشهورين جدنا سيدي عمران بنبركة وشيخنا أحمد الريفي ، واجازاهما بكل ما لهما من الروايات والديريات والمحفوظات والمسموعات**" [23] وقال في موضع أخر " **قال لي استاذنا السيد محمد المهديرضي الله عنه لازم السيد أحمد الريفي ولا تنظر في الأخذ عن غيره فما تأخذه عنه يكفيك وقال خذ عنه الصرف والمنطق ومراده الصرف الصادق والنطق الصدق، وقد حقق الله مراده وقام استاذنا السيد أحمد الريفي معنا بما لسنا من أهله إلا بكرمه وفضله**"[24] هذا إن دل على شيء أنما يدل على سعة علم هذا الرجل بعلوم الدين والمنطق والحديث وغير ذلك من العلوم .

وقال ايضًا" **اني أروي أعلى سندي في القرآن برواية عن أستاذنا أحمد الريفي وأستاذنا المدني التلمساني فقد أخذت عنهم القرآن عرضًا ومداولةً وإجازةً**" كما تلقى عنه السادة السنوسية أسانيدهم في السنة النبوية إلي جانب اللغة العربية والنحو الصرف والرياضيات والجغرافيا والتاريخ

وغيرها من العلوم [25]، ويتصل إسناد أحمد الريفي بالأستاذ محمد بن على السنوسي في كل ما صح له وعنه روايةً فروعًا وأصولاً حسبما أخذه عن مشايخه الأجلاء وخاتمتهم الأستاذ أبي العباس العرائشي وقد أخذه عنه في مكة [26].

4- دور أحمد الريفي في عهد المهدي :

بعد وفاة بن السنوسي وتولي محمد المهدي زعامة الحركة السنوسية، أصبح أحمد الريفي مستشار المهدي الخاص، وقد أولى محمد المهدي أهمية كبيرة للجانب العلمي واعتنى به عناية خاصة فكون مجلس أعلى من كبار الحركة يضم الطبقة الكبرى من رجاله منهم عمران ين بركة الفيتوري وأحمد عبدالقادر الريفي وعلي بن فالح الظاهري وعبدالرحيم المغبوب ومحمد المدني التلمساني ومحمد بن الحسن البسكري وسيف مقرب ، ويضم هذا المجلس الذي يعتبر خاصًا في بعض الحالات كبار رؤساء المراكز الإصلاحية في برقة وطرابلس ومصر والحجاز والسودان وشمال أفريقيا ،[27]على أَن يُعقد في الجغبوب مرة كل سنة للنظر في أهم الأمور برئاسة محمد الشريف السنوسي ممثلاً عن شقيقه محمد المهدي،وتعرض قرارات هذا المجلس على محمد المهدي للموافقة عليها أو رفضها أو تعديلها بما يبدو له باعتباره قائد الحركة، فهذا المجلس يمثل قمة الهرم الذي قاعدة الزوايا،[28] وللكثير من أعضائه أعمال أخرى مضافة إلى عضوية المجلس كالأشراف على طلبة العلم ومراقبة المعلمين في المدرستين القرآنية والعلمية، والإشراف على العمال وعلى دار الضيافة واستقبال الزوار ومراقبة المكتبة ونظام توزيع الأرزاق واستلام الوارد وحفظه،[29] وقد وصف محمد الطيب الأشهب هذا المجلس بمجلس الوزراء والسيد أحمد الريفي بمثابة رئيس الوزراء .

ويعد الشيخ من علماء الطبقة الأولي من علماء الجغبوب ،[30] وكان يحظى بمكانة عالية عند تلميذة محمد المهدي وتذكر المصادر أن محمد المهدي كان يتلو القرآن وعندما مر على فوله تعالي " وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وأذ خاطبهم الجاهلون قالوا سلماً والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً"[31] قال أن معنى هذه الآية ينطبق على السيد أحمد الريفي،[32] وهو كذلك لولا أَن السيد أحمد الريفي غطاءه نور أستاذه لكان له صيت مثل أكابر الأولياء المتقدمين ويقصده الناس من كل فج عميق وذلك لما عليه من مكانة علمية وحجة بالغة ، فهو يعد من

العلماء المميزين الذين أسندت إليهم مهام التربية والتوجيه والقيادة والقيام بمهام التعليم والدعوة والإصلاح.

كان أحمد الريفي هو صاحب المهام الصعبة، من هذه المهام المصالحة بين القبائل، إذ تشير أحدى الوثائق التاريخية وهي بخط يد أحمد الريفي موجهة إلى عمر باشا المنتصر قائمقام سرت،أشار فيها إلى خلاف بين قبيلتي الزاوية والزوية وحضورهم إلى الجغبوب لمناقشة الخلاف،إلا أنه لم يتوصل إلى حل الخلاف بينهم ، وهو يأمل من قائمقام سرت أن يبذل جهده في نصحِهم لان هذا الأمر لا يمكن إبقاءه على هذه الحالة لأنه يؤدي إلى الفتنة،([33]) فقد كان زعماء الحركة حريصين على إزالة البغضاء والشحناء من نفوس القبائل المتعادية ، ويدعوها إلى أخوة الإسلام وشغلها بالطاعة ودفعها نحو المعالي والأخلاق الحميدة .

كان أيضاً في طليعة الذين قاموا بمرافقة محمد المهدي إلى منطقة حطية الزربي عندما قرر الانتقال من الجغبوب إلى الكفرة في رحلته المشهورة يوم الخميس 22 شوال 1312هـ الموافق 1894م –1895م ،وهناك تم توديعه مع جمع غفير منهم محمد العابد السنوسي وبوسيف مقرب ومحمد المدني التلمساني وأحمد بن إدريس وعمران السكوري،[34] حيث اضطر للبقاء في الجغبوب للقيام بالمهام الموكلة إليه ، وبعد وفاة محمد الشريف ليلة القدر سنة 1313هـ الموافق 1895م أرسل محمد المهدي إلى محمد العابد السنوسي وأحمد الريفي بأن يقدما بالعائلة السنوسية إلى الكفرة حيث أخذوا في الاستعداد للسفر، وفي الثاني من جمادي الأولى خرجوا من الجغبوب قاصدين الجوف [35] وبرفقتهم مجموعة من أخرى [36]

وتذكر المصادر أنه رافق السيد محمد المهدي في رحلته الثانية إلى قرو بالسودان الأوسط في شهر جمادي الثانية سنة 1317هـ الموافق 1899 م، في رحلة استغرقت الشهرين تقريبًا واستخدم قرابة 3800 من الإبل في نقل كل ما خف وثقل من حاجاتهم من المؤن والكتب والأسلحة ، مصحوبًا بجميع أفراد العائلة السنوسية وكبار الإخوان وكان عددهم 1066 رجلاً يتقدمهم أحمد الريفي ،[37] الذي أصبح أحد أعمدة الحركة السنوسية .

وقد اورد جان لوي تريو في حديثه عن فريق المسئولين عن الطريقة السنوسية المقيمين في قرو[38] منذ نهاية عام 1899م في ثمانية أشخاص وهم بالترتيب الشيخ محمد المهدي السنوسي والشيخ أحمد عبدالقادر الريفي والشيخ محمد بن حسن البسكري والشيخ احمد الشريف والحاج محمد العابد والحاج مفتاح النمار وسيدي عبدالله الطرابلسي والشيخ أمحمد أحمد الثني، حيث يذكر قائلاً " يأتي في المركز الثاني أحمد الريفي وكيل الشيخ ورجل ثقته، بحسب كلام السجين يونس، كان قد تعرف على المؤسس في الحجاز ، وأصبح أحد ركائز المؤسسة السنوسية، لذا فإن أي بحث عن سالف تاريخ الطريقة لابد من أن يهتم بسيرة هذه الشخصية الذاتية ، ويمثل أحمد الريفي مريد المؤسس المباشر ومستشار شيوخ الطريقة ، وهو صاحب خمس رسائل من مجموعة رسائل بئر علالي" [39]

وفي قرو أسندت إليه العديد من المهام، وكما سبقت الإشارة فقد أصبح المستشار الرئيس لمحمد المهدي ، فقد تولى الأشراف على الشؤون الاقتصادية الخاصة بالطريقة، ولا شك أن المتتبع لتاريخ الحركة السنوسية سيلتمس القدرة القيادة لشيوخها على تأمين الظروف المناسبة لإنعاش الحياة الاقتصادية في ليبيا وامتدادها شرقًا وغربًا وبلوغها إلى بلاد السودان وكيفية خلق بيئة خصبة للتواصل عن طريق القوافل، فأمنت طرقها وازدهرت بذلك الحركة التجارية عبر الصحراء بين المراكز التجارية المنتشرة عبر الأراضي الليبية والمراكز التجارية في السودان ، إذ تشير الوثائق التاريخية إلى اهتمام احمد الريفي بالمبادلات التجارية ، حيث كان له موظفًا خاصًا في زاوية بئر علالي [40] يكلفه بشراء الحبوب ولوازم الطريقة، ويتابع عن قرب التبادل التجاري مع زاوية بئر علالي إذ يقوم بالإشراف على المؤن وعمليات الطريقة التجارية وفق نظام تجاري دقيق ومحكم [41].

وفي بداية القرن التاسع عشر تم محاصرة الطريقة السنوسية في السودان الأوسط ، فتقدم القوات الفرنسية وشكلت حصارًا وأضاق الخناق على الطريقة التي بدأت زواياها في الانتشار في السودان الأوسط في نفس الحقبة تزامنًا مع وصول القوات الفرنسية هناك ، فزادت الطريقة من قواتها للدفاع عن بقائها ، حيث تم في نفس العام الذي انتقل فيه السيد المهدي إلى قرو التوقيع على المعاهدة الفرنسية البريطانية في قرية فاشودا السودانية ،وبموجبها اعترف البريطانيون بحق فرنسا في احتلال شمال تشاد ،فكانت هذه المرة الأولى التي يتم فيها تحدي المجال السنوسي الممتد من ساحل البحر المتوسط في شرق ليبيا وحتى بحيرة تشاد ، وأصبح التحدي مباشرًا بين الفرنسيين والسنوسية [42].

حيث كان أحمد الريفي في الموعد، إذ تولى الأشراف على الشؤون الحربية فتشير الرسائل المتبادلة بينه وبين رؤساء الزوايا السنوسية في السودان الأوسط إلى اهتمامه بأخذ الإجراءات الضرورية للدفاع عن الزوايا المتقدمة وتحصينها تحصيناً جيداً، كزاوية بئر علالي وذلك لأهميتها الإستراتيجية ، ويأتي في مقدمة هذه الإجراءات استقدام الأسلحة والمقاتلين من الكفرة[43].

5- دور أحمد الريفي في عهد أحمد الشريف :

وبعد وفاة محمد المهدي عام 1902م، تأسس مجلس شورى لنظر في شؤون الجمعية السنوسية، كان أعضاؤها هم أحمد الشريف السنوسي ومحمد عابد السنوسي ومحمد إدريس السنوسي وأحمد عبد القادر الريفي ومحمد البسكري، ولهذا المجلس وحده السلطة العليا لإدارة شؤون الحركة السنوسية[44]، إذ استقر الرأي على أن تأول زعامة الحركة لأحمد الشريف أكبر أبناء العائلة السنوسية سنًّ، إذ لازم عمه محمد المهدي فترة تزيد عن العشرين عاماً، تشبع خلالها بمبادئه السامية، وتخلق بأخلاقه العالية، وأجازه عمه بكل ما يصح له وعنه حسب القانون المتبع عند الشيوخ ، فقام بالأمر خير قيام ، وأتخذ من شيخه أحمد الريفي قدوةً ومرجعًا في كل جليل وحقير، وملكة زمام أمره فلا يصدر إلا عن رأيه ولا يعمل إلا بمشورته [45].

وكان لوجود هؤلاء سلوى كبرى لهم يخفف بها مصابهم ، فتولى إعلان خبر وفاة محمد المهدي السنوسي في كتب بعث بها بتوقيعه وتوقيع أحمد الشريف إلى رؤساء الزوايا وشيوخ القبائل[46].

وبعد تصاعد وتيرة الحرب بين المجاهدين والقوات الفرنسية في تشاد تشاور أحمد الشريف مع شيخه أحمد الريفي، حيث قرر أحمد الشريف العودة برفقة العائلات إلى الكفرة، وقد اختار الشيخ محمد السني [47] شيخًا على زاوية قرو ليكون نائبًا عنه في إدارة شؤون الجهاد بالسودان الأوسط [48] وعندما تقرر نفل العائلات السنوسية من السودان إلى الكفرة ،أقتضى رأي العلامة أحمد الريفي أن يتريث مدةً بسيطةً في قرو، ثم يلحقهم يحمل تابوت محمد المهدي وتابوت أبنه محمد أحمد الريفي ،[49] الذي توفي في قرو، ووصل بهما بعد استقرار العوائل في الكفرة وذلك في سنة 1321هـ الموافق 1903م وبعد وصول التابوتين أمر بدفن أبنه في مقابر المسلمين، أما

تابوت محمد المهدي فقد دفن بمسجد قرية التاج في الكفرة وقد عملت له مقصورة خاصة ووضع عليه قيم [50].

كان أحمد الريفي مجتهدًا في قراره ؛لأنه رأى عدم تمكين الأعداء من العبث بالقبر ونبشه وذلك على سبيل الحيطة حيث أستقر رأيه على نقل الجثمان إلى الكفرة بعد أن تمت الاستعدادات اللازمة لذلك[51] وظل أحمد الريفي يساند أحمد الشريف ويعينه في إرسال الإمدادات والمؤن والأسلحة إلى المجاهدين في تشاد طيلة فترة المقاومة.

وبهذا يعد أحمد الريفي الشخص الوحيد الذي خدم الحركة السنوسية في أدوارها الثلاثة، الدور الأول وهي فترة شيخه مؤسس الحركة السنوسية محمد بن على السنوسي ، فأخذ عنه الكثير من العلوم ولازمة ملازمة صادقة ورافقه في رحلاته وتنقلاته وشاركه في إدارة دفة أعمال الحركة وفي نشر الدعوة وتأسيس الزوايا، والدور الثاني وهي فترة زعامة محمد المهدي الذي كان محل ثقة وتقديره فقد كان أكبر الإخوان سنًا ورئيس مجلس الإخوان كما كان أستاذه ومستشاره الخاص، والدور الثالث وهي فترة زعامة أحمد الشريف السنوسي الذي تولى قيادة الحركة السنوسية نيابة عن أبن عمه محمد إدريس الذي أصبح فيما بعد ملك ليبيا.

6- وفاته :

تُعد حياة مليئة بالعطاء دامت أكثر من أثنين وستين عاماً كرسها للدعوة في سبيل الله تعالى توفي الشيخ رحمة الله في التاسع من رمضان أواخر عام 1329هـ الموافق 1911م، عن عمر يناهز ثلاثة وثمانون عامًا فشق موته على أفراد البيت السنوسي وعامة أهل برقة[52] ورثاه الشعراء والعلماء ومن بينهم تلميذه الشاعر الطيب الأشهب فقال في قصيدة مطولة :

صبرت وما فلبي عليك بصابر فأنت أمام الأولياء الأكابــر
تركت دموع العين تجري صبابة وسرت إلى أهل العلى والمقابر
مكثت بجغبوب وتاج ومكة وأنت تفيد القوم أهل المحابــر
أقمت مع السادات ستين حجة لوارد آداب السلوك وصــادر[53]

وبوفاة أحمد الريفي فقد أحمد الشريف والسنوسية تلك الشخصية الفذة المحبوبة النزيهة المباركة مرجع الكل ومعتقد الكل، لقد أفني أحمد الريفي عمره في خدمة الحركة السنوسية في أدوارها الثلاثة ،قدم فيها خدمات مختلفة ،وشارك مشاركة فعالة في إدارة الحركة السنوسية مدة تزيد عن أثنين والستين عام، منذ تاريخ التحاقه بمحمد بن علي السنوسي وحتى وفاة .

لم يعقب العلامة الجليل أحمد الريفي إلا حفيده أحميدة أحمد بن محمد بن أحمد الريفي وهو محل عناية البيت السنوسي واحترامه، كما يتمتع بتقدير واحترام جميع أفراد الحركة ، وقد أنابه أحمد الشريف السنوسي بمعسكر المجاهدين بعد سفر الأخير إلى الأستانة عام 1336هـ الموافق 1917م، ثم التحق بالأمير محمد إدريس السنوسي فعهد إليه بمناصب عليا منها ما كان بمعية السيد صفي الدين السنوسي نائب الأمير محمد إدريس ببرقة ، ومنها ما كان بمجلس الشورى لسمو الأمير محمد إدريس السنوسي [54] وذلك تقديرًا للمجهودات والأعمال الجليلة التي قام بها جده من أجل خدمة الإسلام ونصرة الحق وخدمة الحركة السنوسية.

وهكذا أوجدت السنوسية رجالاً كانوا لهذا المبدأ النبيل ولهذه التعاليم السامية خير دعاة ،وكانوا رجالاً صادقوا ما عاهدوا الله عليه، من أنساب شتى وقبائل مختلفة وعشائر متباينة ، فتكونت منهم مجموعة إسلامية وطنية متجانسة ، بذلوا النفس والنفيس في سبيل نصرة أمامهم إيمانًا منهم بصالح الانقياد وسمو الغاية ،و هكذا كان لهذه البطانة المنتقاة فضل كبير في نجاح هذه الدعوة ، كما كانت فراسة مؤسس الحركة في اختيار الرجال المعاونين له من أهم العوامل في نجاح دعوته واستمرارها بعد وفاة ردحًا من الزمن .

الخاتمة.

كان العلامة أحمد عبدالقادر الريفي أمامًا كاملًا في مختلف العلوم العقلية والنقلية، حتى صار حجة زمانه، وقد اشتهر بين الجميع بعلو القدر والمكانة وكرم الأخلاق وسعة الاطلاع ورحابة الصدر.

قدم للحركة السنوسية خدمات جليلة ،وساهم مساهمة قوية وفعالة في تسيير دفة الحركة منذ التحاقه بأبن السنوسي في الحجاز سنة1849م وحتى بعد وفاته إذ أصبح مستشار محمد المهدي الخاص، والمشرف على شؤون الحركة السنوسية، كما تولى رئاسة مجلس الحركة بالجغبوب ،حتى إنه رافق زعيم الحركة في رحلة إلى قرو، كما أشرف من هناك على إدارة الشؤون التجارية التي تديرها الحركة مع بلاد السودان، وتولى الإشراف على الشؤون الحربية أثناء وقوع الغزو الفرنسي على الزوايا السنوسية في السودان الأوسط ، وحتى عندما آلت شؤون الحركة السنوسية لأحمد الشريف تابع أحمد الريفي مسيرة جهاده ووقف بجانب أحمد الشريف وأصبح قدوته ومرجعه في كل ما هو جليل وحقير.

إن أمثال هؤلاء الرجال من حقهم علينا ألا نمر بهم في صفحات تاريخنا بعبارات وكلمات عابرة ونحن نؤرخ لهذه الحقبة التاريخية التي عاصروها ، بل من واجبنا أن ننصفهم وأول أوجه الإنصاف

أن نعيد كتابة سيرهم وتاريخهم الحافل بالعطاء وبنظرة أخرى تكون أكثر موضوعية في سبيل إعطاء كل ذي حق حقه ومن خلال هذه الورقة نوجه دعوة صادقة للبحاث والمهتمين بالتاريخ الليبي للاهتمام بسيرة هؤلاء الرجال من الدعاة، ونشر سيرتهم وتتبع أثارهم.

الهوامش:

1. محمد علي الصلابي ، تاريخ الحركة السنوسية في افريقيا، ط5 ، دار المعرفة، بيروت ،ص 62.
2. أحمد الشريف السنوسي ، الأنوار القدسية ، مخطوط ، ص 4 .
3. أحمد الشريف السنوسي، فيوضات المواهب المكية بالنفحات الربانية المصطفوية، مخطوط .
4. محمد الطيب الأشهب ، برقة العربية أمس واليوم ، ط1 ، القاهر، 1936، ص 169.
5. محمد هاني مصطفى أحمد الريفي ، مقابلة بتاريخ 8 –5 –1922.
6. أحمد الشريف السنوسي ،المصدر السابق .
7. هو عمر الفضيل تولى مشيخة زاوية أوجلة أشتهر بلقب أبو حواء جاهد في الجزائر ضد الفرنسيين لمدة سبع سنوات وهو والد المجاهد الكبير الفضيل أبو عمر مستشار الشيخ عمر المختار وساعده الأيمن .
8. محمد الطيب الأشهب ، برقة العربية ....،المرجع السابق ، ص169.
9. أحمد صدقي الدجاني ،الحركة السنوسية نشأتها في القرن التاسع عشر، ط1 ، 1967، ص 72.
10. المرجع نفسه ، ص 174.
11. محمد الطيب الأشهب ،برقة العربية.....، مرجع سابق ، ص 169.
12. المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.
13. محمد الطيب الأشهب ، السنوسي الكبير ، مطبعة محمد عاطف ، القاهرة ،ص147.
14. محمد الطيب الأشهب ، المهدي السنوسي ،ص 147.
15. أحمد صدقي الدجاني ، مرجع سابق ، ص 174.
16. أحمد الشريف السنوسي ،الدر الفريد الوهاج الرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج ،مخطوط ، ص 102.
17. مصطفى عبدالله بعيو ، دراسات في التاريخ اللوبي ، ص64.
18. سورة الكهف ، اية 110.
19. المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
20. محمد عثمان الحشائشي ، الرحلة الصحراوية ،الدار التونسية ، 1988، ص 88.
21. محمد الطيب الأشهب ، برقة العربية أمس واليوم ، ص 169.
22. أحمد صدقي الدجاني ، مرجع سابق ، ص 174 .
23. أحمد الشريف السنوسي ، الرحلة من الجغبوب إلى التاج ، ص 102.
24. [1]–أحمد الشريف السنوسي ، الأنوار القدسية ،ص 5.
25. أحمد الشريف السنوسي ، بغية المساعد في أحكام المجاهد ، ت عبد المولى صالح الحرير ، المركز الليبي للمحفوظات التاريخية ، طرابلس ، 2013 ، ص ص13 – 14.

26. أحمد الشريف السنوسي ، الأنوار القدسية ، ص 5.
27. محمد علي الصلابي ، مرجع سابق ، ص 172
28. أحمد صدقي الدجاني ، مرجع سابق ،ص 179.
29. محمد الطيب الأشهب ، المهدي السنوسي ،ص 34.
30. محمد عثمان الحشائشي ، جلاء الكرب عن تاريخ طرابلس الغرب ، ص152 .
31. سورة الفرقان ،أية 63-64.
32. محمد الطيب الأشهب ، السنوسي الكبير ، ص65 ؛محمد على الصلابي ، مرجع سابق ، ص 66.
33. وثيقة وهي عبارة عن رسالة من أحمد الريفي إلى عمر باشا المنتصر قائمقام سرت ،د.ت ، محمد الطيب الأشهب ، السنوسي الكبير .
34. محمد الطيب الأشهب ، برقة العربية أمس واليوم ،ص 217.
35. في العربية تعني القلب أو المركز ،وتقع الجوف في وسط واحات الكفرة، تعتبر الجوف العاصمة الإدارية لواحات الكفرة ، وهي أهم مركز عمراني في المنطقة ، موجودة في أعمق أجزاء وادي الكفرة وربما كان هذا هو السبب في تسميتها بهذا الاسم، وبها أجود مزارع الكفرة وأجود أشجار النخيل ،وتقع في الطرف الشرقي للواحة ،وعلى ارض مرتفعة ارتفاعًا بسيطًا عن بقية ارض الوادي توجد قرية التاج بالقرب من الجوف على الحافة الشمالية المرتفعة لوادي الكفرة ،وقد أنشأها زعماء السنوسية لتكون مركزًا لدعوتهم.
36. أحمد الشريف السنوسي ، الرحلة من الجغبوب إلى التاج ،ص 64.
37. محمد الطيب الأشهب ، المهدي السنوسي ، ص70 .
38. وهي واحة صغيرة إلى الجنوب الغربي من جبال تيبستي ، انتقل إليها السيد المهدي عام 1899م ليتخذها مركزًا للطريقة السنوسية ، وقد شكل هذا الانتقال هجرة منظمة للسنوسيين وأتباعهم نحو الجنوب وهي هجرة لها مغزاها ونتائجها السياسية .
39. جان لوي تريو،السنوسية في مواجهة فرنسا ،ط1،دار الفرجاني،طرابلس، 2013، ، ص ص 47-48.
40. زاوية بئر علالي تقع بئر علالي في كانم شمالي غرب بحيرة تشاد، أصبحت مركزًا سنوسي عام 1895مفضلًا عن كونها مركزًا تجاري متقدم للسنوسية في السودان الأوسط وهي حلقة اتصل بكل تشاد،تشرف على طريقين عابرين للصحراء وهما طريق طرابلس – برنو وطريق بنغازي – واداي ،احتلها الفرنسيون عام 1902م تزعم مشيختها الشيخ البراني الساعدي الزوي ،وهو احد الإخوان السنوسية الذين جاهدوا ضد الاحتلال الفرنسي في تشاد ، حيث استشهد في معركة عين كلك عام 1907 م .
41. وثيقة رقم 8 وهي عبارة عن رسالة من أحمد الريفي إلى البراني الساعدي بتاريخ 10 اكتوبر 1900م، . نشرت عند جان لوي تريو ، مرجع سابق.
42. المرجع السابق ،ص 18
43. وثيقة رقم 21 وهي رسالة من أحمد الريفي إلى إبراهيم الغربي بزاوية بئر علالي ،نشرت عند نفس المرجع .
44. محمد الطيب الأشهب ، برقة العربية أمس واليوم ،ص 252.
45. عبد الملك عبد القادر، الفوائد الجلية في تاريخ الحركة السنوسية الحاكمة في ليبيا ، مطبعة دار الجزائر، دمشق، 1966،ص 22.
46. محمد الطيب الأشهب ، برقة العربية أمس واليوم ،ص 250.

47. ولد محمد عبد الله السني في مزدة في منطقة القبلة في ليبيا ، اختلف البُحاث في تحديد تاريخ ميلاده فيحدده الطاهر الزاوي في 1860م بينما يورد محمد مسعود جبران في كتابه عن محمد عبدالله السني نقلاً عن ابيلا رديتلي صاحب كتاب القبلة تاريخ ولادته في 1851م ، تلقى دروسه الأولى في منطقة القبلة ثم بُعث إلى الجغبوب ، و بعد أن أتم تعليمه تولى مشيخة زاوية مزدة ، كما أسس العديد من الزوايا وأظهر كفاءةً وجدارةً ،إذ ارتقى ارتقًا ملموسًا في كافة النواحي إلى أن اختاره محمد المهدي لتولي مهام الطريقة السنوسية في تشاد ، ويعد الشيخ محمد عبدالله السني علمًا من أعلام العلماء والمجاهدين في تاريخ ليبيا وأفريقيا في العصر الحديث ، فقد كان من الرجال الذين قاوموا المستعمرين الفرنسيين ومن الرواد السابقين والدعاة إلى الله الذين كان لهم شرف نشر القرآن وتحفيظه ، وبث العلم والشريعة الإسلامية في البلاد التي خيم عليها من الاراضي الليبية ، كما نشره وبثه في بعض البلاد الإفريقية المجاورة التي غلبت عليها الوثنية.

48. عبد الملك عبد القادر ، مرجع سابق ص 22.

49. محمد الطيب الأشهب ، المهدي السنوسي ، ص 100 .

50. عبد الملك عبد القادر ، مرجع سابق ،218.

51. محمد الطيب الأشهب ، المرجع السابق ، الصفحة السابقة.

52. محمد على الصلابي ، مرجع سابق ،ص 66.

53. محمد الطيب الأشهب ، برقة العربية أمس واليوم ،ص 170 .

54. نفس المرجع ، نفس الصفحة .

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.

2- وثيقة وهي عبارة عن رسالة من أحمد الريفي إلى عمر باشا المنتصر قائمقام سرت ،د.ت ، نشرت عند محمد الطيب الأشهب ، السنوسي الكبير .

3- وثيقة وهي رسالة من أحمد الريفي إلى إبراهيم الغربي بزاوية بئر علالي ،نشرت عند جان لوي تريو السنوسية في مواجهة فرنسا.

4- أحمد الشريف السنوسي ،مخطوط الأنوار القدسية

5- أحمد الشريف السنوسي، مخطوط فيوضات المواهب المكية بالنفحات الربانية المصطفوية.

6- أحمد الشريف السنوسي ، مخطوط الدر الفريد الوهاج الرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج .

7- أحمد الشريف السنوسي ، بغية المساعد في أحكام المجاهد ، ت عبد المولى صالح الحرير ، المركز الليبي للمحفوظات التاريخية ، طرابلس ، 2013 .

8- أحمد صدقي الدجاني ،الحركة السنوسية نشأتها في القرن التاسع عشر، ط1 ، 1967.

9- جان لوي تريو ،السنوسية في مواجهة فرنسا ،ط1،دار الفرجاني، طرابلس، 2013 .

10- عبد الملك عبد القادر، الفوائد الجلية في تاريخ الحركة السنوسية الحاكمة في ليبيا ، مطبعة دار الجزائر، دمشق، 1966.

11- محمد الطيب الأشهب ، برقة العربية أمس واليوم ، ط1 ، القاهر، 1936.

12- محمد عثمان الحشائشي ، الرحلة الصحراوية ،الدار التونسية ، 1988.

13- محمد عثمان الحشائشي ، جلاء الكرب عن تاريخ طرابلس الغرب .

14- محمد علي الصلابي ، تاريخ الحركة السنوسية في افريقيا ، ط5 ، دار المعرفة ، بيروت .
15- مصطفى عبدالله بعيو ، دراسات في التاريخ اللوبي، الجمعية التاريخية لخريجي كلية الاداب، الاسكندرية،2019م